مجلة المنهل ـ المجلد: 08، العدد: 01 (2022 م) ـ ص ص 623 – 636
ISSN : 2437 – 1068 • EISSN 8392-2710

الترجمة العربية للمزامير: مخطوط آيا صوفيا أنموذجا

The Arabic translation of the Book of Psalms : Hagia Sophia manuscript as a model

د. سهام صالحي (*)
مختبر الخطاب والإبداع والمجتمع والأديان
جامعة سيدي محمد بن عبد الله– فاس (المغرب)
Sihamsalhi2211@gmail.com

تاريخ الاستلام:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2021/10/29	2022/02/26	2022/06/13

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص:

مكنت الترجمة من فهم أفكار وتصورات الأغيار، وتضييق الفجوة بين مختلف الثقافات والحضارات. وسعت في المجال الديني إلى فهم وتفسير النصوص الكتابية المقدسة واستيعاب مضمونها، باعتبارها أهم محرك للعقل المتدين. حيث أن ترجمة المعاني الدينية أمر يتّسم بالحساسية، ويتطلب من المترجم الحرص والحِرفية والإتقان والإلمام باللغة الأصلية واللغة المترجم إليها.

يهدف هذا المقال إلى فتح نقاش علمي حول الترجمات العربية لسفر المزامير، من خلال بحث ودراسة مخطوط آيا صوفيا الموسوم بـ "كتاب ترجمة زبور بالعربية"، والذي قدم فيه المترجم ذي المرجعية الدينية الإسلامية ترجمة جمعت بين نصوص المزامير العبرانية في ترجمتها للغة العربية وبعض الآيات من القرآن الكريم، ما أنتج نصا جديدا أسماه صاحب الترجمة زبورا.

الكلمات المفتاحية: المزامير ؛ زبور داود ؛ آيا صوفيا ؛ الترجمات العربية ؛ مخطوطات المزامير.

Abstract :

The translation is important because it helps us understand the ideas, cultures and civilizations of others. In religious terms, the translation narrows down the gaps between the religious groups in which they can interpret the sacred scriptures and understand their contents. Understanding the sacred texts is crucial because they are the persuaders of the religious mentality. For this reason, the translation of religious concepts is a sensitive issue, which requires special skills like being careful, professional, proficient, and aware about religious texts and their cultures of the native language and the target one.

This article aims to discuss the Arabic translations of the Book of Psalms by analyzing the Hagia Sophia manuscript whose title is “Kitab Tarjamat Al-Zzabur bil Arabiyya.” In this book, the translator, who has an Islamic background, combines the texts of the Hebrew Psalms translated from Arabic with some verses from the Qur’an. This combination produced a new religious text called Zabur by the translator..

Keywords: Psalms; Holy Psalms of David (Zabur) ; Hagia Sophia ; Arabic translations ; Psalms manuscripts.

(*) المؤلف المراسل.

1ـ المقدمة:

يعد سفر المزامير المنتمي للمجموعة الثالثة من أسفار التنخ (الاختصار العبري لثلاث كلمات ت ن خ תנך. أي توراة תורת – نبيئيم נביאים أي أنبياء – كتوبيم כתובים أي مكتوبات، وتمثل الكتاب المقدس اليهودي، وهو أكثر أسماء الكتاب المقدس العبري شيوعا في الأوساط العلمية. كما يطلق عليه اسم المقرا מקרא) المسماة بالمكتوبات כתובים، أحد أكبر وأهم مدونات بني إسرائيل الدينية على مدى سبعة أو ثمانية قرون من تاريخهم، والذي عبروا من خلاله عن خبرات الأنبياء العبرانيين وأمجاد الهيكل بتسابيح وترانيم ومراثي شعرية حضرت في جميع أشكال العبادة التقليدية والمناسبات والأعياد، كتعبير عن علاقتهم الروحية بالقدرة الإلهية من خلال الناموس والنبوات والتاريخ والحكمة، كما استخدم السفر بعد ظهور المسيحية في العبادات الخاصة و الليتورجيات (كلمة يونانية معناها الخدمة العامة والرسمية، استعملها البيزنطيون للدلالة على الذبيحة الإلهيّة، واستعملها المسيحيون للدلالة على القيام بالعمل الكهنوتي بمجمله. انظر لفظ liturgy، حموي، 1994، ص421) الرسمية ذات الإسقاطات المسياوية بتلاوة مضامينه والترنم بفقراته. ويتناول المقال تحقيق ودراسة الإصحاح الأول من ترجمة المخطوط لفهم الطريقة التي انتهجها المترجم لنقل النص إلى اللغة العربية.

إشكالية الدراسة

أنجزت عدة ترجمات عربية لسفر المزامير عملت على تقريب معانيه من المتدين الشرقي اليهودي والمسيحي لتتناسب مع صلواته وشعائره الدينية، وقد وُفق بعضها في الحفاظ على الطابع العام للسفر، في حين أغفل بعضها الآخر تفهّم النصوص العبرية مما أخل بمعناها وأعوزها الدقة في مواضع عدة، فكثرت فيها الأخطاء وأظهرت رداءة في العبارات المتشبعة بالأسلوب الكنسي الذي أبان عن عيوب أثناء الترجمة (قدم محمد الصادق حسين في كتابه مجموعة من الأسباب التي جعلته يقوم بإعادة ترجمة بعض نصوص المزامير المرتبطة بالشعائر والصلوات الدينية. al-sadeq hussein ,1957, p: 1-3) كما أن من المترجمين من ألبس السفر حلة إسلامية من حيث التقديم والعرض معتبرا السفر في نسبته لداود هو نفسه كتاب الزبور السماوي، وهو المنحى الذي أخذه صاحب ترجمة المخطوط موضوع الدراسة. فهل يمكن اعتبار زبور داود هو نفسه سفر المزامير؟ وما هو النهج الذي كان يتبعه المترجم العربي عند قيامه بترجمة نص من النصوص العبرانية، وإلى ماذا كان يستند؟ وإلى أي مدى نجحت التراجم العربية في تقديم هذا النوع من النصوص؟

الهدف من الدراسة والمنهج المتبع:

يعتمد المقال على دراسة واستقراء مضامين مخطوط آيا صوفيا، ما يفتح المجال أمام الباحثين المهتمين بعلم المخطوطات في علاقته بعلم الأديان المقارن للعمل على فهم وتوضيح وتفكيك مجموعة من القضايا الدينية المتداخلة وإخضاعها للنقد العلمي الموضوعي.

حاول المترجمون وضع سفر المزامير في إطاره الشعري المقدس، وقد شهدت الساحة الدينية إصدارات مهمة بهذا الصدد كالترجمة العربية المطبوعة في فيينا سنة 1791م لأنثيموس بطريرك بأورشليم، والترجمة المطبوعة في بيروت سنة 1865م على يد المرسلين الأمريكيين إلي سميث (Eli Smith) وكرنيليوس فان دايك (Cornelius Van Allen Van Dyck)بمساعدة المعلّم بطرس البستاني والشيخ ناصيف اليازجي والشيخ يوسف الأسير، بالإضافة إلى الترجمة المطبوعة في بيروت سنة 1880م بمطبعة الآباء اليسوعيين ضبط وإشراف الشيخ إبراهيم اليازجي، وترجمة المطبعة البطريركية بدمشق سنة 1909م (انظر اللائحة الكاملة لأهم الترجمات العربية لسفر المزامير: عرمان، 1945)؛ وترجمة محمد الصادق حسين بالاشتراك مع الأب س. دي. بوركي (Serge de Beaurecueil) (راهب فرنسي (1917–2005) رحل إلى مصر واستقر في معهد الآباء الدومنيكان للدراسات الشرقيّة (IDEO) في خمسينيات القرن الماضي، وفي هذه الفترة أنجز العديد من التحقيقات لشروح منازل السائرين للهروي الأنصاري وفي أخريات حياته الرهبانية ألف كتابا عن الأطفال الأفغان حيث عاش وخدم وأصدر كتابه "أبنائي من كابول" ضمن منشورات سيرف 1983.انظر95–94 .pp ,2011 ,Zekri) الدومينكي سنة 1961م والتي كانت محاولة جادة خصت 15 مزمورا بالترجمة، عملت على الحفاظ على استقامة المعنى وتحري الدقة في نقل النص مع تثبيت القيم الدينية والشعرية المحددة في النصّ الأصلي العبري (قدم خالد محمد عبده دراسة مستفيضة عن هذا الموضوع من خلال مقال عرض فيه أهم ما يميز هذه الترجمة ونبذة عن حياة المترجم محمد الصادق حسين العلمية. عبده،2016) كما حفظت المكتبات العربية والإسلامية مخطوطات عدة تعود إلى العصر الوسيط وما بعده باعتبارها جزءا من التراث العربي الإسلامي المسيحي، ومخطوط آيا صوفيا موضوع الدراسة واحد من هذه الترجمات تفرد في سرد إصحاحات سفر المزامير وجعل منه موضوعا يدعو إلى التمحيص والمقارنة والذي، على حد علمي، لم يسبق دراسته أو تحقيقه أو نشره من قبل.

2ـ قراءة في المخطوط.

2، 1. وصف المخطوط

تم الاعتماد في هذه الدراسة على مخطوط وحيد محفوظ حاليا في مكتبة آيا صوفيا بإسطنبول يحمل رقم 008193، وهو عبارة عن48 ورقة كتب النص فيها على وجهين ما عدا الورقة الأولى، والظاهر أن الأرقام التي تشير إلى ترتيب أوراق المخطوط ليست من وضع المترجم أو الناسخ، بل هي جزء من عملية تصنيف مكتبة آيا صوفيا، ولتمييز الوجهين اعتمدنا الحرفين "أ" و "ب"؛ في كل وجه واحد وعشرون سطرا، تتراوح كلمات السطر الواحد ما بين تسع إلى عشر كلمات، تضمنت بعض الكلمات المصوَّبة في الهامش مُشار إليها برمز إلى الداخل. المخطوط مكتمل البداية والنهاية، وحالة أوراقه جيدة نسبيا، مكتوب بخط نسخ واضح في معظم كلماته، لا يوجد فيها تآكل بصفة عامة إلا في بعض الأوراق حيث بعض الكلمات مطموسة يتعذر قراءتها بسهولة.

يظهر عنوان المخطوط على الورقة الأولى [1/ب]، وتضمنت الورقة الثانية [2/أ]ختمين أحدهما خُطت عليه الآية القرآنية بعد بسم الله الرحمان الرحيم ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾ [الأعراف:43] وأمّا الختم الثاني فغير واضح، والظاهر أنهما يعودان لأنظمة الدولة العثمانية، ما يدل على موافقة الدولة على ما يحتويه المخطوط من معلومات؛ يتوسط الختمين نص وقف للنسخة جاء فيه: «قد وقف هذه النسخة سلطاننا الأعظم، والخاقان المعظّم مالك البرين والبحرين، خادم الحرمين الشريفين السلطان بن السلطان بن السلطان الغازي محمود خان وقفا مصحّحا شرعيّا. حرّره الفقير أحمد شيخ زاده المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين غفر لهما». والنسخة قيد يفيد أنها من وقف السلطان الغازي محمود خان الأول (1696–1754م) أو السلطان الغازي محمود خان الثاني (1784–1839م)؛ وعدم تحديد الفترة بالضبط يمنع التأريخ الدقيق لوجود تشابه في أسماء السلطانين. وقد تمّ تحرير هذا القيد على يد أحمد شيخ زاده المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين المشار إليه في النص، والغالب أنّ الختم الثاني السابق الذكر يعود إليه.

2، 2. اسم الكتاب والمترجم:

يحمل المخطوط في ورقته الأولى عنوان «**كتاب ترجمة زبور بالعربية**» ومن خلال العنوان الذي سمى به المترجم أو الناسخ كتابه، يلاحظ أنه يتمحور حول ترجمة الزبور عن لغة غير محددة إلى اللغة العربية. وعند تفحص شكل وحجم الخط في الورقة الثانية يتضح وجود خطين مختلفين متباينين، أحدهما كتبت به المقدمة وهو حتما يخص المترجم أو ناسخ نص الترجمة، أما الخط الثاني فهو على ما يبدو

لمدقق قام بمراجعة الكتاب وتصويب بعض أخطائه، وقد أثبت ذلك على طرّة المخطوط. كما تخلو أوراق المخطوط من أية إشارة إلى اسم المترجم، ومن المرجح أن يكون مترجم النص _موضوع الدراسة_ غير ناسخه، كما لا يمكن تحديد زمن تحرير هذا المخطوط على وجه الدقة.

2، 3. تقسيم الكتاب:

استفتح المترجم عمله بقوله: «[2/ب] الحمد لله المالك الودود مصور كل مولود ومآل كلّ مطّرد شاطح المهاد، وموطّد الأطواد، ومسهّل الأطوار عالم الأسرار» (هناك حذف بعض الكلمات لاستعصاء قراءة تتمتها بسبب تلف أصاب الورقة من أمثال: الملك–المرشد) منتقلا بعد ذلك مباشرة إلى تقديم ترجمته للإصحاحات متمثّلا بالقرآن الكريم، حيث قام بتحديد رقم السورة وعدد آياتها مع الاستهلال بالبسملة؛ قد نتفهم تلقيب فقرات السفر بالآيات مجازا باعتبار أن المصطلح دارج ومقبول بين المتدينين الشرقيين من يهود ومسيحيين، إلا أنه يبدو غريبا إقحام البسملة لانعدام أية علاقة تناصية بين النص القرآني والنص العبراني للعهد القديم بهذا الخصوص، هذا إذا ما اعتبرنا أن النص مترجم عن أصل عبري أو سبعيني. وتجدر الإشارة هنا إلى كون هذا النمط الكتابي في التعامل مع النصوص العبرانية حاضر عند فرقة القرائين (הקוראים) (فرقة يهودية ترجع للقرن الثامن الميلادي، معناها المتمسكين بأسفار التنخ وحدها ورفض ما عداها، ظهرت في زمن الخليفة أبي جعفر المنصور العباسي: الهواري، 1994، ص 14–17) اليهودية الشديدة التأثر بالثقافة الإسلامية، والتي عُرفت باستعمالها للمصطلحات الإسلامية في جميع شؤونها الدينية، ومن ذلك استعمال لفظ الله كترجمة للاسم العبري يهوه יהוה، وكلمة مولى كترجمة للمعنى الديني لكلمة أدوني אדוני، والقرآن كترجمة لكلمة التوراة תורה المذكورة في قاموس جامع الألفاظ لإبراهيم بن داود الفاسي (توفي قبل عام 1026 م) (Skoss,1937, p. 258)، واستعمال عبارتي (تبارك وتعالى) و(عز وجل) (حسن، 2014، ص 123–124). وبسبب هذه الطقوس الدينية المغايرة لطقوس الأكثرية اليهودية الأرثوذكسية (الربانيين)، فالفرقة تواجه اتهامات تصل حد التكفير، كما يمارس ضدها أنواعا مختلفة من التمييز والتهميش والعنصرية.

أنجز المترجم ترجمة لمئة وخمسين إصحاحا من المزامير (=الزبور)، وهو نفس عدد المزامير في النص العبري الماسوري، والذي زادت عنه الترجمة السبعينية اليونانية بمزمور واحد بتقسيم أحد النصوص إلى مزمورين وهو ما يتكرر مرتين (116–147)، ودمج مزموران من المجموعة العبرية في مزمور واحد من الترجمة السبعينية (9 و10–113و 114) (باسيم، 2000، ص 1117) أما الترجمة السريانية (البشيطة) (كلمة سريانية معناها البسيطة أي سهلة الفهم، انتشرت هذه الترجمة للكتاب المقدس في القرن الخامس ميلادي عند جميع الشعب السرياني المسيحي. بيباوي (د.ت) ص354) فتجاري النسخة العبرانية

ب 150 سفرا مقسِّمة السفر إلى أجزاء تسمى مرميثات، وهي كلمة سريانية تعني الصلاة الوجيزة (ساكا، 2005، ص 60). كما يلاحظ بالاطلاع على محتوى النصوص المترجمة إغفال المترجم لأنشودة التمجيد: وهي عبارة أدرجتها النسخة العبرية للمزامير عند نهاية كل تقسيم من تقسيماتها الخمسة بتكرار لفظ آمين مرتين (التقسيمات كالتالي: الكتاب الأول (1 –41). الكتاب الثاني (42–72) الكتاب الثالث (73–89). الكتاب الرابع (90–106). الكتاب الخامس (107–150).)، وتسبيحة وضعها السريان في آخر كل مرميث يقال فيه: «ولك يليق التسبيح يا الله»، فإذا كان الناسخ يقصد ترجمة المزامير عن أصلها العبري أو وسائط أخرى، فلا يبدو أنه أدرك هذه الغاية خصوصا عندما نرى أنه لم يلتزم بالصياغة الشعرية أهم سمة من سمات هذا السفر؛ حيث أنّ الشعر العبري القديم يخلو من النظم أو البحر الشعري المعروف ويخلو من وزن القافية أيضا، وهو يعتمد أساسا على الريتم أو الإيقاع الذي يظهر ذاته في إيقاع النغم في كل شطرة بمفردها وبنفس الوقت الإيقاع الموزون للشطرات كلها حينما تكون معا آية واحدة (المسكين، 2003، المجلد الأول. ص142).

ومما يثير الانتباه، عدم تقديم صاحب المخطوط أو الناسخ للمنهج الذي سار عليه في أثناء ترجمته، أو حتى إشارته إلى هوامش موضحة لذلك، ليختم كتابه بقوله: «صدق الله العظيم وقوله الحقّ، والحمد لله حقّ حمده على حسن توفيقه ومعونته [47/ب]».

3ـ دراسة المخطوط.

مكن علم المخطوطات أو الكوديكولوجيا من الاطلاع على التراث الإسلامي بوجه عام، والوقوف على دقائق العصور القديمة لإيجاد حلقات الوصل بين الماضي والحاضر لمعرفة البيئة التي تم فيها إنتاج مؤلف ما، حيث أن دراسة المخطوطات لا تهم دارسي الفترة الوسيطة فقط، بل أيضا دارسو الفترة الحديثة وربما المعاصرة، لما تقدمه من قيمة علمية خصوصا في مجال الدراسات المهتمة بالتراث الإسلامي في علاقته بالديانات الأخرى. وقد تميزت مدينة إسطنبول عن غيرها من المدن بإيلائها عناية كبيرة لهذا النوع من الكتب، حيث تضم أكبر عدد من المخطوطات العربية والفارسية والتركية على الصعيد العالمي، ما مكنها من عقد أول مؤتمر عن مخطوطات الشرق الأوسط بإشراف الباحث الفرنسي فرانسوا ديروش (François déroche) عام 1986م (تتابعت بعد مؤتمر إسطنبول مؤتمرات أخرى أهمها مؤتمر علم المخطوطات الشرقية بالرباط سنة 1992 ولندن 1993 وباريس 1994 وبولونيا 2000 بالإضافة إلى معارض للكتاب المخطوط. انظر للتوسع: سيد وآخرون، 2014، ص785) والمخطوط موضوع الدراسة واحد من هذه الكتب الذي قد نستشف منه بالفحص والدراسة مجموعة من الاستنتاجات.

قبل الخوض في مضمون المخطوط، وجب التوقف عند عنوانه «**كتاب ترجمة زبور بالعربية**» الذي يلفه بعض الغموض ويدفع للتساؤل عن حقيقة الزبور، هل هناك ما يوثق وصول هذا الكتاب السماوي إلينا كما نزل على داود النبي ليقوم صاحب النص بترجمته؟ وعن أي لغة قام بهذه الترجمة؟ جعل بعض الباحثين الزبور والمزامير اسمين لكتاب واحد، بينما أبان آخرون عن بعض التحفظ لعدم ورود أي تفاصيل بهذا الصدد، فهل للمزامير علاقة بالزبور؟ وإن كان الزبور هو نفسه سفر المزامير، هل يضم كلاهما نفس المحتوى؟ هل هما تأليف بشري أم وحي إلهي؟

3، 1. الزبور والمزامير:

وردت كلمة زبور في القرآن الكريم مرتبطة بنبي الله داود عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا**﴾ [الإسراء:55] (وردت بنفس الصيغة في النساء: 163) ما يشير إلى أن الله عز وجل اختص داود بكتاب سماوي (ورد لفظ الزبور معرفا في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ [الأنبياء:105] والمقصود هنا جميع الكتب التي أنزلت على الرسل، وليس كتاب داود على وجه الخصوص، والمراد هنا اللوح المحفوظ. فيكون تنكير زبور داود على قياس الآية كتابا وليس الكتاب بحد ذاته، فالزبور بذلك أحد كتب الله المنزلة على أنبيائه، وكتاب داود من ضمنها. وهو اسم مشتق من الزبر التي تدل على الكتابة، انظر فعل زبر: الفيروزآبادي، 2008، ص692. وكذا: ابن كثير، 2000، ص 845) لتثبيت عقيدة التوحيد لدى بني إسرائيل، وجاء في قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ (17) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ(18)وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ(19)وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ**﴾ [ص:17-20] ما يدل على كثرة استغفار داود وتسبيحه وثنائه وحمده وتقديسه لله مع ما سُخر له من الجبال والطير يسبحون معه، فيكون بذلك التسبيح والحمد هو أحد سمات الكتاب المنزّل على هذا النبي بالإضافة إلى ما آتاه الله من الملك والحكمة وفصاحة اللسان.

جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله علي وسلم قال: «خفّف على داود القرآن، فكان يأمر بدابّته لتسرج، فكان يقرأ قبل أن يفرغ» (البخاري، 2002، باب {**وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا**}. حديث رقم 4713 ص1170) والمراد بالقرآن هنا الزبور الذي أوحي به إلى داود عليه السلام، والحديث عن بيان قدرته على قراءة الزبور في مدة يسيرة مع الفهم والتدبر والترنم على وجه التخشع (إسماعيل ابن كثير، 1988، ص565) وربما هو إشارة إلى قصر طول هذا الكتاب. وجاء عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه :« أن النبي صلّى الله عليه وسلم قال له: يا أبا موسى، لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داوود » (البخاري،2002، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن. حديث رقم 5048. ص1288) مادحا صوته

الشجي في قراءة القرآن، وهو ما يثبت أن داود عليه السلام كان يردد تلك التسابيح والأدعية بصوت حسن عذب. وفيما عدا هذا، لا نجد ما يؤكد في الشريعة الإسلامية إن كان الزبور أنزل على داود منجما أم دفعة واحدة كما هو حال كتاب موسى عليه السلام، كما أنها لا تخبرنا عن مضمون هذا الكتاب على وجه الدقة، أو حتى مصيره إن كان قد حرّف أو اندثر (حسن الباش، 2004. ص81-87، بتصرف)

يُعرَّف سفر المزامير العبراني תהילים (تهليم أي تسابيح)، بكونه مجموعة من القصائد والترانيم الدينية والأغاني الروحية المرتلة على صوت المزمار في طقوس وشعائر دينية (انظر كلمة مزامير في: حموي، 1994. ص 454. وكذا: بوست، 1894. ص513) والتي احتوت خلاصة قرون عدة من النشاط في الشعر، فمنها ما يرجع إلى عصر الملوك (حوالي 1010-970 ق.م) وتسمى المزامير الملكية، وأخرى مفعمة بالخواطر المستمدة من الجزء الثاني من سفر أشعياء كان تأليفها أثناء السبي البابلي (حوالي 598-538 ق.م) أو بعده، والتي تذكر تدمير أورشليم سنة 587 ق.م، والتي تتحدث عن الإجلاء والرجوع من السبي سنة 538 ق.م، ومزامير العصر الفارسي (حوالي 538-333ق.م) وبدء العصر الهلنستي في القرن الثالث ق.م، كما تنسب بعض المزامير إلى عصر المكابيين في القرن الثاني قبل الميلاد (- Pariso 1er AVRIL 1895. p. 215). وينسب هذا السفر بالإجمال إلى داود، ثاني ملوك مملكة إسرائيل الموحدة (حوالي 1011 -971 ق.م) الذي اعتبر منذ حداثته مرنّمها الحلو حسب ما ورد في سفر صموئيل الثاني (23 :1)، كما ذُكر شغفه بالموسيقى والشعر والطرب (صموئيل الأول 16: 18-23)، ونظمه التسابيح للتابوت المقدس والترنيم الليتورجي حسب أخبار الأيام الأول (6: 31)؛ إلا أنه ليس صاحب السفر الوحيد، فمن مجموع 150 مزمورا ينسب له 73 مزمورا فقط، في حين ينسب 12 مزمورا لآساف اللاوي أحد رؤساء آلات الطرب والترتيل لداود، و11 مزمورا لبني قورح وهم عائلة شعراء كانوا يمارسون وظيفة الكهنوت في أيام داود، ومزمورين لسليمان ومزمور لكل من إيثان وموسى، ويبقى 50مزمورا بمؤلفين مجهولين (بوست. 1894، ص514.). وقد حضر الشعر العبري قبل داود بزمن طويل وأُلف بعده كذلك بزمن طويل، لكن التقليد نقل أنه دفع بالغناء المقدس إلى الأمام وعدّه أكبر المؤلفين وأباهم الروحي.

ومما سبق، نرى أن زبور داود المذكور في القرآن الكريم والمزامير يجتمعان في إدراج كليهما لمجموعة من المواعظ والتسابيح والأدعية المعظمة للشريعة الإلهيّة وفي دعوتهما إلى وحدانية الله والإيمان به؛ إلا أنهما يفترقان من أوجه كثيرة: فالزبور المنزل على داود عليه السلام وحي سماوي نزل فترة نبوته أي بتاريخ محدد وُجد فيه هذا النبي، في حين يُلاحظ اشتراك عدة مؤلفين في كتابة المزامير العبرانية على مدار ألف سنة. بالإضافة إلى ذلك، يلاحظ وجود شبه كبير بين أدب بلاد ما بين النهرين ونظيره

الفرعوني وبعض الفقرات من تسبيح الخالق في السفر: فنجد نشيد العاصفة بالمزمور 29 يذكّر بأناشيد إكرام البعل الكنعاني، وأن مطلع المزمور 19 يتضمن ذكرى مبهمة للابتهال إلى إله الشمس، وأن نشيد الخلق بالمزمور 104 مستلهم من الترنيمة المصرية للإله آتون، وصاحب المزمور 68 يروي في أسلوب ملحمي حافل بالذكريات المبهمة المأخوذة من الأناشيد القديمة مسيرة تابوت العهد المهيب إلى مقره الأخير (باسيم، 2000، ص 1111). كما أن النسخة العبرية تحمل بلا منازع أخطاء ليست قليلة زحفت عبر التاريخ الطويل بدءا بحقبة العصور القديمة مرورا بزمن عزرا الكاتب لزمن خراب أورشليم، وصولا إلى النسخة الماسورية التي أوحت بأن بعض الاختلافات نتجت عن أخطاء غير متعمّدة والبعض الآخر من جراء مراجعات متعمدة، فالنص الأصلي للمزامير قد عانى حتما من تغييرات كثيرة فالعتيق منها وجب تحديثه، ولزم اختصار بعضها والإضافة لبعضها الآخر، وفي بعض الأحيان ضُمت أجزاء على أجزاء حتى ظهر المزمور المركب، والتركيبات غير العادية عانت من التعديل للتبسيط، والتركيبات العتيقة والاصطلاحات الغامضة تم شرحها (المسكين،2003. المجلد 1. ص 149-150 بتصرف يسير). فالقول إذن بقانونية سفر المزامير في التنخ لا يجزم بكونه زبور داود نفسه، وإذا كان ما يعرضه هذا السفر يحتمل المشابهة في مراميه العامة لما جاء في زبور داود، فالأكيد أن كلا منهما مختلف عن الآخر ولا دليل قاطع على كونهما كتابا واحدا.

3، 2. دراسة المخطوط من خلال المزمور الأول أنموذجا:

« [3/أ] السورة الأولى من الزبور. وهي خمس آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

طوبى لمن لا يسلك طريق الأثمة، وفي مواقف الخطّائين لا يقوم وفي مجالس المستهزئين لا يجلس، لكن في ناموس الربّ يدرس الليل مع النهار فمثله كمثل شجرة على شاطئ المياه (في الأصل: الأمياه، والصواب ما أثبت) لا يتناثر ورقها ولا ينقطع ثمرها وما يفعله [إلا] إلا قليل، وليس المنافق بذلك لأن الله عزّ وجلّ يعلم سبيل المنافقين وسبيل الخطّائين من أجل أن المنافق كثير الفجور ناقض العهد ومن أجل أن الله يعلم سبيل المنافقين لأنّهم في مرتبة الصدّيقين ولا يقولون ما يتمّ به أفعالهم. داود (في الأصل: دواود، والصواب ما أثبت) مربي إسرائيل لا ينهروا المساكين (في الأصل: لمساكين، والصواب ما أثبت) ولا يطردوا اليتيم (في الأصل: ليتيم، والصواب ما أثبت) وليقوموا إليّ في دجى الليل بقلوب خائفة وأعين باكية. أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشدّ قوّة وأكثر جمعًا فأخذهم العذاب من حيث لا يشعرون. ولم يعلموا أنّي أنا الربّ الذي أعلم غيب السماوات والأرض وما أنا بغافل عمّا يعمل الظالمون» .

عند القراءة المتأنية للفقرة الأولى من نص المخطوط، نجد أننا أمام معاني مقاربة لما يتضمنه الإصحاح الأول من سفر المزامير مع اختلاف بسيط في العبارات التي حافظت على الفكرة العامة للمزمور، نفس الفقرة وردت في نشرة بيروت 1865م لكل من سميث وفان دايك عن ترجمة النص العبري الأصلي على الشكل التالي: «طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لَمْ يَسْلُكْ فِي مَشُورَةِ الأَشْرَارِ وَفِي طَرِيقِ الْخُطَاةِ لَمْ يَقِفْ وَفِي مَجْلِسِ الْمُسْتَهْزِئِينَ لَمْ يَجْلِسْ. لَكِنْ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ مَسَرَّتُهُ وَفِي نَامُوسِهِ يَلْهَجُ نَهَاراً وَلَيْلاً فَيَكُونُ كَشَجَرَةٍ مَغْرُوسَةٍ عِنْدَ مَجَارِي الْمِيَاهِ الَّتِي تُعْطِي ثَمَرَهَا فِي أَوَانِهِ وَوَرَقُهَا لاَ يَذْبُلُ. وَكُلُّ مَا يَصْنَعُهُ يَنْجَحُ» [المزامير 1: 1] ما يشير إلى كون صاحب الترجمة يقصد بالزبور الذي ترجمه للغة العربية سفر المزامير العبراني. لكن، ما يدرينا أن داود هو كاتب هذا المزمور بالفعل؟ فالمزمور الأول هو امتداد سواء في اللغة أو الشعر أو التصور للفكر المتكرر في سفر الأمثال، حيث دائما الخير يتبع البار والفساد يتبع الشرير، وهو يشرح حقيقة عامة غير أنه لا يقصد أي شخصية أو مناسبة ما؛ كما يُعتقد أنه لسليمان النبي وضعه ليكون مقدمة لمزامير أبيه داود، أو أنه وُضع بقصد دراسة الناموس في أيام عزرا (المسكين.2003، المجلد الثاني. ص 9 بتصرف يسير).

وبمتابعة القراءة نجد لفظ «الله عزّ وجل» والمطلع على النصوص العبرانية بالكتاب المقدس في لغتها الأصلية، يعلم قطعا استحالة استعمال هذا اللفظ لتسمية إله بني إسرائيل، الذي لم يرد قطعا في الأسفار العبرانية ولا في الترجمة السبعينية ولا في الترجمة العربية عن الترجمة السبعينية، والغالب أنه ظهر مع انخراط المسلمين في الترجمة؛ في حين أن التسميات الأكثر شيوعا في الكتابات المقدسة اليهودية هي:

- إيل אֵל: وهو من أقدم الأسماء المعبودة والمعروفة كاسم جنس يدل على الألوهية في معظم الشعوب السامية، ومثاله ما جاء في سفر التكوين (35: 7): «וַיִּבֶן שָׁם، מִזְבֵּחַ، וַיִּקְרָא לַמָּקוֹם، אֵל בֵּית-אֵל». وَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحا وَدَعَا الْمَكَانَ «إِيلَ بَيْتِ إِيلَ».

- إلوهيم אֱלֹהִים: يشير اللفظ إلى الفكرة العامة عن الألوهية، وهو جمع يستخدم بصورة منتظمة مع الأفعال والصفات المفردة للدلالة على مفرد، وعلى الأرجح أنه أثر لغوي بقي من مرحلة سابقة من مراحل الفكر عن تعدد الآلهة، أو مذهب فكري مشترك بين الشعوب السامية، جاء في سفر التكوين (1: 3): «וַיֹּאמֶר אֱלֹהִים، יְהִי אוֹר؛ וַיְהִי-אוֹר» وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ» فَكَانَ نُورٌ.

- يهوه יְהוָה: اسم إله إسرائيل الخاص، وأكثر الألفاظ ترددا في النصوص العبرانية، ورد في الخروج (6: 2): «וַיְדַבֵּר אֱלֹהִים، אֶל-מֹשֶׁה؛ וַיֹּאמֶר אֵלָיו، אֲנִי יְהוָה» ثُمَّ قَالَ اللهُ لِمُوسَى: «أَنَا الرَّبُّ».

- أدوني אדוני: وهو المستعمل في مخاطبة إله بني إسرائيل بخشوع ووقار، والغالب أن اليهود يستعملونه عوضا عن يهوه الذي لم يكونوا يلفظونه على الإطلاق تعظيما. (خروج 15: 2).

- إيل شداي שדאי: وهو مصطلح يترجم بناء على تقليد قديم "الإله القدير" ولكن اشتقاقه ومعناه غير معروف تماما (تكوين:17: 1) (انظر لفظ الله dieu حسب العهدين القديم والجديد: نجيب، وآخرون،2004، ص 91. وكذا: D'eichtal. 1880, p. 357–359).

يلاحظ في النص بعد ذلك، إضافة صاحب الترجمة لآية قرآنية ليُظهر حال المؤمنين الصادقين المتبعين لشريعة داود وما يميزهم عن غيرهم من الخطائين والمنافقين، مستندا في ذلك إلى ما تضمنته الآية من ذكر لحال الناس المكذبين للرسل في القرون الماضية الذين أصابهم الهلاك بذنوبهم وشركهم بالله وعصيانهم؛ والآية من قوله تعالى: **{أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً}** [الروم:9] كما أضاف المترجم جزءا من الآية الواردة في قوله تعالى: **{فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ}** [الزمر:25] والآية الواردة في قوله تعالى: **{وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ}** [إبراهيم:42]. ومما لا شك فيه، أن صاحب الترجمة قد حشر نفسه في متاهات متشعبة بعرضه هذا النوع من التداخل في النصوص، حيث قام بتنقيح ترجمته بآيات قرآنية متفرقة من الذكر الحكيم على سبيل الاستشهاد. ما يدفعنا إلى طرح جملة من التساؤلات عن ماهية اللغة التي ترجم عنها صاحب الكتاب ما أسماه بالزبور؟ إن كان يقصد فيما ترجمه زبور داود، ما سبب وضعه لآيات واضحة من القرآن الكريم والتي يستحيل أن توجد بالزبور بالصياغة المعروضة؟ على أي أساس تمت هذه الإقحامات؟ وما السبب الذي جعل المترجم يخلط فقرات المزمور بالآيات القرآنية؟ ربما تصعب الإجابة عن أغلب هذه الأسئلة لشح المعلومات حول المخطوط موضوع الدراسة، إلا أننا ندرك تمام الإدراك أننا أمام نص جديد يدمج نصين سماه المترجم زبور داود.

عندما نقرأ المزمور الأول ونتمعن في معانيه نرى تقاطعا واضحا وكبيرا مع ما جاء في القرآن الكريم، فهو يركز على صنفين من البشر؛ صنف المؤمنين وصنف الأشرار، ثم يركز على عاقبة كل من الطرفين، فتعاليم هذا المزمور أخلاقية وهي أقرب كثيرا إلى سلوك النبوة، ويقابلها في القرآن الكريم نفس التعاليم الأخلاقية (الباش، 2004، ص91). إلا أن هذا التقاطع في المعاني لا يمكن أن يصل إلى حد تطعيم أحدهما بالآخر، فقد حاول صاحب الترجمة استحضار القيمة الروحية والتعليمية لسفر المزامير والقرآن الكريم باعتبار ما يتضمنه كل منهما من دعوة للتوحيد والاستقامة وتسبيح الله وحمده، والموازية حسب ما تقدم لمضامين زبور داود الذي قدمه المترجم أو الناسخ، إلا أن إخفاقه فيما قام به من ترجمة

وضعه في مأزق أفقده مصداقيته المعرفية، وأظهر نقائص أغفلها أو تعمد القيام بها، إما بسبب نزعته الدينية أو لظروف سياسية مجهولة لا يتسع المقام لبحثها.

4ـ خاتمة

رام هذا المقال بحث موضوع الترجمات العربية لسفر المزامير من خلال مخطوط آيا صوفيا، ما مكن من الاطلاع على ترجمة متفردة وفحصها عن قرب، والتي قدّمت لنا نصا جديدا اعتبره صاحب الترجمة زبورا ونسبه لداود مسترشدا بسفر المزامير مع منحه صبغة إسلامية. ربما لا تتوافق هذه الترجمة مع الأصل العبراني لسفر المزامير، إلا أنها تبقى وثيقة مهمة تساعدنا على فهم طبيعة سعي تراث ديني (المقصود بالتراث الديني الآثار المكتوبة والشفهية التي تتعلق بالأمور الدينية، والتي تتمظهر من خلال تتبع الطقوس والعادات التّقاليد والعقائد كما المتداولة في مجتمع ما. الشرفي، 01.03.2007، ص81) معين إلى الاستفادة من التراث الديني الآخر لتفصيل بعض المعتقدات لديه. وهذا الأمر، بالنسبة إلى الباحث في علم الأديان المقارن وتاريخه، مثال مثير للفضول وجدير بالبحث. وهو يبرز شكلا من أشكال التواصل بين الإسلام والديانات السماوية، الذي ظهرت إرهاصاته الأولى منذ القرنين الأول والثاني للهجرة من خلال علماء المسلمين والمهتدين إلى الإسلام مثل كعب الأحبار (توفي حوالي سنة 72هـ) ووهب بن منبه (توفي حوالي 114هـ)، حيث كان لهما الفضل في إمداد المسلمين الأوائل بالمرويات والقصص الكتابية التي كان من الصعب الاطلاع عليها دون الرجوع لأمثال هؤلاء (تساهل علماء المسلمين الأوائل في قبول كل ما تضمنته الكتب المقدسة من المرويات المتعلقة بالوقائع التاريخية، كما استخدموا بعضها كبراهين لبيان صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والتبشير به، وقد اختلف بعد ذلك موقف العلماء ولاسيما المفسرون من هذه الأخبار، وقسموها إلى أقسام ثلاثة: القبول بالنسبة للمرويات الموافقة للشرع، التكذيب للمخالفة له، الاتعاظ وهي مرويات لا تكذب ولا تصدق. عبده، 2021. ص 85).

نموذج من للمخطوط: (الورقة الثالثة)

5ـ قائمة المراجع

1. القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
2. الكتاب المقدس، (2017)، عن ترجمة سميث وفان دايك، القاهرة، دار الكتاب المقدس.

المؤلفات:

3. ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي،
4. (2000)، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار ابن حزم.
5. (1988)، قصص الأنبياء، تحقيق مصطفى عبد الواحد، مكة المكرمة، مكتبة الطالب الجامعي.
6. باسيم، بولس، (2000)، الكتاب المقدس العهد القديم، بيروت، دار المشرق.
7. الباش، حسن، (2004)، الكتاب والتوراة: عندما باع الحاخامات موسى عليه السلام. بيروت، دار قتيبة.
8. البخاري، محمد بن إسماعيل، (2002) صحيح البخاري، بيروت، دار ابن كثير.
9. بوست، جورج، (1894)، قاموس الكتاب المقدّس، بيروت، المطبعة الأمريكانية.
10. بيباوي، وليم وهبة، (د.ت)، دائرة المعارف الكتابية، القاهرة. دار الثقافة.
11. حسن، حسن جعفر هادي، (2014)، تاريخ اليهود القرائين منذ ظهورهم حتى العصر الحاضر، بيروت، العارف للمطبوعات.
12. حموي، صبحي، (1994)، معجم الإيمان المسيحي، بيروت، دار المشرق.
13. ساكا، إسحاق، (2005) المزامير في طقس الكنيسة السريانية وسيرة داود الملك والنبي، حلب، المكتبة السريانية.

14. عبده، خالد محمد، (2021)، الجدل الإسلامي المسيحي في القرن الثالث الهجري، تحقيق ودراسة لكتابي علي بن ربن الطبري في علم الأديان المقارن، بيروت، دار المدار الإسلامي.
15. عرمان، رزق الله فتح الله، (1945)، كتاب المزامير الشريف لداود النبي والملك عن الترجمة اليونانية السبعينية، بيروت، (د.د).
16. فريد، محمد، (2014)، تاريخ الدولة العثمانية العلية، القاهرة، هنداوي للتعليم الثقافة.
17. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (2008)، القاموس المحيط، تحقيق أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، القاهرة، دار الحديث.
18. المسكين، متى، (2003)، المزامير، دراسة وشرح وتفسير، القاهرة، مطبعة دير القديس أنبا مقار.
19. نجيب، أنطونيوس وآخرون، (2004) معجم اللاهوت الكتابي، بيروت، دار المشرق، بيروت.
20. الهواري، محمد، (1994) الاختلافات بين القرائين والربانيين في ضوء أوراق الجنيزا، قراءة في مخطوط بودليان بأكسفورد، القاهرة، دار الزهراء للنشر.

المقالات:

21. سيد، أيمن فؤاد، (2014)، علم المخطوط العربي، بحوث ودراسات: تقاليد المخطوط العربية. مجلة الوعي الإسلامي، الكويت.
22. الشرفي، عبد المجيد، (01.03.2007)، في قراءة التراث الديني. مجلة الملتقى. العدد 15. مراكش.

المواقع الإلكترونية:

23. عبده، خالد محمد، (03.01.2016)، مسلم يترجم المزامير. عن موقع طواسين للتصوف والإسلاميات: http://tawaseen.com/?p=2494 .

Livre :

- Mohammad al-sadeq hussein, (1957) quinze psaumes traduits en arabe. Introduction de s.de laugier de beaurecueil. Institut dominicain d'études orientales du Caire. Egypte.

Articles du journal :

- Gustave D'eichtal, (1880), Sur le nom et le caractère du dieu D'israel Iahveh، revue de l'histoire des religions. association de la revue de L'histoire Des Religions, Jstor, Vol. 1.
- J Pariso، (1895), les psaumes de la captivité. Revue Biblique (1892-1940) Peeters Publishers, jstor, Vol. 4, No. 2.
- S. L. Skoss, (1937), Kitāb Jāmi' al-Alfāẓ of David ben Abraham al-Fāsi. By : Cambridge University Press on behalf of the School of Oriental and African Studies .University of London. Vol. 9, No.1
- Zekri. Mostafa, (2011), Cris du Cœur, Munâjât Khawâdjâ 'Abd Allâh Ansârî, Serge Laugier de Beaurecueil, Amir Mohammad Ali Moezzi. Archives de sciences sociales des religions, 56e Année, No. 156.